اللغة والتعبير

جورج مونان (*)

يبدو رغم كل المظاهر أنه ليس من السهل على المرء معالجة مشاكل اللغة كفيلسوف، أو التحدث عن اللغة إلى الفلاسفة كلساني. لقد استطاع الفلاسفة فعلاً أن يتحدثوا، لعدة قرون، عن اللغة انطلاقاً من حدسهم، ومن تجربتهم الاختبارية للكلام. وعما يقوله النحاة التقليديون، أو حتى عن فرضياتهم الميتافيزيقية. وما تزال هناك، بدون شك، في تاريخ اللسانيات وتاريخ الفلسفة أشياء كثيرة يتعين التقاطها بصدد هذه الأمور، وخاصة من زاوية المعارف اللسانية الأكثر يقيناً الآن. ومع ذلك، فإن المشكل المركزي، ليس هو، الآن على الأقل، تاريخ الأفكار التي كونها الناس عن اللغة، بل المهم هو المعرفة الدقيقة بقدر الإمكان، هنا والآن، في اللغة ذاتها، ولطبيعتها ولوظيفتها أو وظائفها، لطريقة عملها (في منظور التآلف) ولتطورها (في منظور زمني).

من المؤكد أن ظهور اللسانيات كعلم مستقل، منذ 1816 (مع Bopp) وخاصة إبتداءً من 1916 (مع دو سوسير De Saussure) قد غير العلاقات ـ الضرورية ـ بين الفلسفة وعلوم اللغة تغييراً عميقاً. لقد حدث هذا التغير ببطء شديد، ولا يمكن أن نعتبر أنه اكتمل وانتهى. ومن جهة نظر اللسانيين على الأقل، فإنه أصبح من المستحيل اليوم التفلسف في اللغة بدون أن يكون المرء موقناً من أنه قد تملك المعارف اللسانية الأقل عرضة للشك. وذلك هو، على وجه اليقين، أول موضوعات التفكير التي يتعين اقتراحها على الفلاسفة في اللغة.

لكن الصعوبة لم تكن بدون شك في يوم من الأيام أعسر مما هي عليه اليوم. وبالفعل فانه في الفترة 1925-1960، وقبل أن تعيد الفلسفة اكتشاف ضرورة تجديد المشاكل التي تطرحها اللغة، وجدت فترة شبه

(*) لساني فرنسي معاصر، وهو مؤلف عدد من الكتب من بينها: «مفاتيح للسانيات» (1968) و«مدخل الى السيميولوجيا» (1870) و«التواصل الشعري» (1969) و«المشاكل النظرية للترجمة» (غاليمار 1963) و«تاريخ اللسانيات منذ الأصول إلى القرن العشرين» (1974).

عن Philosopher: les interrogations contemporaines. Fayard (1980).

وحيدة في اللسانيات النظرية: فالمبادىء والمناهج، وكذا حلول المشاكل، كلها كانت تلتقي على وجه العموم، سواء تعلق الأمر بادوارد سابير (E. Sapir) (1922) أو سبرغي تروبتسكوي (S. Troubetskoi) (1939, 1933) أو ليونار بلومفيلد (L.Bloomfield) (1933) أو لو هلمسلف (L.Hjelmslev) (1943)، وكذا مارتن جوس (M. Joos) (1948) وهنري كلاسون (H. Cleason)، وكينث بيك (K.pike) (1955)، وشارل هوكيت (C.Hockett) (1958)، وأندري مارتينيه (A. Martinet) (1960). وحوالى هذا التاريخ الأخير حدث انفجار نظري لأسباب متعددة، وهو انفجار جعل الفيلسوف أو متعلم الفلسفة غير قادر، في يوم ما، على ممارسة الاتصال مع اللسانيات. فعدد الباحثين ـ وعدد المنشورات ـ قد تضاعف مئة مرة خلال ربع قرن؛ وعدد مراكز البحث، أي شعب اللسانيات، هو بدون شك أكبر من عدد الجامعات نفسها. ومن ناحية أخرى فإن قصر الدائرة وضيق الميدان المتعلق بتكوين أغلب الباحثين الشباب يقوى هو أيضاً (ولنذكر الشعار «أن ينشر المرء شيئاً وهو في الخامسة والعشرين أو أن يموت علمياً في سن الخامسة والثلاثين») هذا التزايد الحاد الذي ينعكس في تواتر النظريات المختلفة، والمتنافسة بقوة: اللسانيات البنيوية (وسنعود إلى الحديث عنها)، والتوزيعية، والتحويلية، والتوليدية، والتراتبية، والعلائقية، والتعقيدية، والإحصائية، والرياضية (واكتفي بهذا القدر). ويجب أن نضيف إلى هذه اللوحة القائمة إستفحالاً في ظاهرة عدم التواصل العلمي: وقد أحصى باحث لغوي بلجيكي (هو Guy Jucquois) مثلاً أن المراجع الأجنبية في مجلة أمريكية حول اللسانيات هي 6% للألمانية و5% للفرنسية و3% للغات الأخرى (وبالنسبة لمجلة فرنسية فإن مناظرة الأرقام هي 29% للألمانية و12% للانجليزية و1% للغات الأخرى). ويبدو أن الميل إلى قراءة ما لدى الآخر يتناقص بالتدريج، والعديد من النظريات منغلق في جزر علمية حقيقية. كيف يستطيع غير اللغوي التوجه في هذه الغابة، وكيف يستعلم قبل أن يختار؟ هذا موضوع ثانٍ للتأمل ـ ربما الفلسفي ـ وهو قبل كل شيء مطروح على اللسانيين وبدون شك أيضاً على الفلاسفة.

لكن بالنسبة إلى اللّساني المهتم بهدف المؤلف الذي ستظهر فيه هذه السطور، فإن المشكل المباشر هو التالي: ماذا يمكن أن يقول المرء لقرائه عن اللغة، مما لم يتم تجاوزه ربما، ومما يمكن أن يبقى مفيداً وصالحاً لمدة خمس أو عشر سنوات وربما عشرين؟

يود اللساني (عالم اللغة)، من أجل ألا يسبح عكس التيار، وخاصة إذا كان لسانياً من جيلي (وربما من مزاجي) يود أن يبدأ بطرح سؤال: لماذا يتعين اليوم ألا نجمّع، بصدد اللغة واللسانيات، سوى الشكوك والتساؤلات والمشاكل والاشكاليات؟. ألم يحن بعد الوقت الذي نتساءل فيه عما إذا كان باشلار (Bachelard) يسيء اليوم (بمفهومه عن **القطيعة الابستمولوجية** المطبق ميكانيكياً على كل الحركات الصغيرة للموضة الثقافية) بقدر ما أحسن عندما أدخل منذ أكثر من ربع قرن دينامية في تاريخ العلوم؟ والتساؤل أيضاً عما إذا لم يكن كيون (Kuhn)، بكتابه «بنية الثورة العلمية» وبإلحاحه على عدم الاتصال في تطور البحث النظري، يخاطر بنفس الموقف: وهو الحط بشكل غير جدلي، من قيمة الجانب التراكمي للمعرفة، وهو جانب ماثل في كل فرع معرفي؟ لا يمكن أن تكون هناك اليوم درجة صفر في النظرية، ولا بالنسبة إلى أي باحث، ولا إلى أية فترة، مهما ظنت أنها فترة ثورية وأرتأت ذلك في ميدانها. يجب على المرء أن يكون دوماً حذراً تجاه الشروط والظروف المؤطرة لعصره أو للفترة التي ينتمي إليها: إننا نبصر

العيوب الوضعية والعلموية للفترة 1870 - 1920 لكن من باستطاعته رؤية العيوب الإيديولوجية التي ربما كانت تعمي أبصارنا اليوم؟

إن الصورة العامة لما يظل اليوم صلباً وقائماً في اللسانيات ليس مداناً في حد ذاته، إذا ما اعتبرناه نقطة انطلاق كانت ضرورية لكل تفكير في الواقع الحالي للسوق اللسانية، وليس كنقطة وصول لمسار وثوقي. وتلك هي الموضوعة الثالثة المطروحة للتأمل في ميدان فلسفة اللغة ـ وخاصة إذا لم نزح بصرنا عن واقع ان الباحثين في العلوم الانسانية، بحكم تكوينهم الثقافي، هم شبه متشبعين كلياً بموقف أدبي تجاه المعرفة، موقف يدفعهم إلى إدراك ما يميزهم ويفرد تخصصهم، وإلى تهامل ما يدينون به لمن سبقوهم. أي أنهم مدفوعون، بفعل بنية الفكر ذاته الذي يشكّل ويغذي دراساتهم، وبفعل الايديولوجيا الخاصة بالأدب، إلى التقليل من شأن الطابع غير التاريخي «لمكتشفاتهم»، وإلى احتقار الطابع التراكمي، بل التكراري لهذه «المكتشفات» (التي حدثت من قبل أكثر من مرة في تاريخ فرعهم المعرفي تحت تسميات أخرى).

حقاً إن المشاكل والتساؤلات والشكوك متوافرة في اللسانيات، بل إنه غالباً ما يحدث أن الخاطىء منها، الذي نكرره ونجتره، يجعل الحقيقي منها يختفي، إما بمرورنا فوقه أو بتجاهلنا إياه. لكن من أجل تناول المشاكل ومن أجل طرحها، وتحليلها، ومن أجل حل هذه المشاكل يجب توافر أدوات مفهومية تم فحصها واختبارها منذ البداية. وهناك بالفعل أدوات من هذا النوع.

هناك أولاً مفهوم **التواصل** كوظيفة أولى وأساسية للغة، وهو مفهوم مكتسب وصامد. إن من العسير الانفصال عن التعريف العائد إلى حوالى 2000 سنة وهو يقول بأن اللغة في المقام الأول هي التعبير عن الفكر ـ الذي هو شيء مقابل للغة وسابق عليها ـ بحيث أن هذه الفكرة الأساسية القاعدية ما تزال محط معارضات. فهناك من يستنفد وقته في البرهنة على أن اللغة لا تصلح ولا تستخدم دوماً في تحقيق التواصل، وهو أمر واضح وبديهي؛ والفيلسوف فتجنشتين، هو أحسن من قال ذلك في إحصائه للاستعمالات المتنوعة جداً للغة، ويدعوها «لعب اللغة». لكن هذه اللعب ثانوية. ان ما يفسر أداء اللغة لوظيفتها واقتصادها الداخلي وتواترها هو شروط التواصل وظروفه لا التعبير عن الفكر. وتؤكد لنا دراسة التواصل الحيواني، هذا التواصل المرتبط بالأنواع التي تعيش ضمن الجماعة، وتواصل التأكيد بأن أصل التواصل ـ وكذا خصائصه النوعية ـ اجتماعي. إن مجموعات من الحيوانات التي تستخدم بعض الرموز (الببغاوات ـ الفئران، الغربان، السناجب...) لا تتواصل فيما بينها إلا بشكل سيء أو لا تحقق التواصل بتاتاً. أما الحيوانات الأخرى، التي يكون مع ذلك من العسير إبراز عمليات ترميز لديها (القرود من فصيلة الليموريات وبعض الطيور الكاسرة التي تمارس الصيد جماعياً... إلخ). فتتواصل بشكل أحسن.

هناك مفهوم آخر يمكن أن يصلح لتحديد وتعريف اللغات المتحدث بها من قبل الإنسان مقابل كل الأشكال الأخرى للتواصل الانساني أو الحيواني، وقد استغرق هذا المفهوم وقتاً طويلاً لكي يفرض نفسه، لأن البعض رأوا فيه تكراراً وتحصيل حاصل، في حين رأى فيه آخرون سمة غير مميزة. ويتعلق الأمر بالتمفصل المزدوج (La double articulation)، ونعني به أن اللغات المنطوقة هي على الأرجح «القواعد» الوحيدة المنتظمة مرتين: في وحدات دالة (وحدات كلامية أو وحدات هيكلية حسب النظريات)، وتنتظم هذه الأخيرة (أي الوحدات الهيكلية morphèmes) في وحدات غير دالة، وحدات مميزة (صوتيات

phonèmes). وقد كان لهذا المصطلح فضل طرح مشكل السمات المميزة للغة الانسانية طرحاً واضحاً، هذا المشكل الذي بقي حتى الآن موضع لبس لأننا نعتبر كل منظومات التواصل لغات ونسميها كذلك، والنقاشات الحالية الجارية حول ما إذا كانت اللغات الحركية لدى الهنود أو لدى الصم ـ البكم متمفصلة تمفصلاً مزدوجاً أم لا تدل على أهمية مثل هذا المشكل، كما يدّل على ذلك أيضاً الحرج الذي يحس به الباحثون (غاردنر Gardner وبريماك Premack الخ) عندما يتعلق الأمر بمعرفة ما إذا كان للشامبانزي لغة أم لا ـ إذ أن كونها تتواصل فهذا أمر محقق. بل يمكننا الآن، وقد تم طرح المشكل طرحاً جيداً، أن نعثر على سمات خاصة باللغات الانسانية المنطوقة، سمات تفسر الهوة التي تفصلها عن وسائل التواصل الأخرى. لكن السمات المميزة الأخرى التي اقترحها هوكيت (Hockett)، وهي في حدود أثنتي عشرة سمة، غير مقنعة.

ولا شك أيضاً في أن السمات المميزة المستخرجة لوصف العلامات اللسانية منذ دو سوسير لن تصمد طويلاً. **فالاستقامة الخطية** (La linéarité) في اللغة من حيث هي ظاهرة صوتية تتحدد بكون الوحدات المميّزة والوحدات الدالة للخطاب يتعين أن تتتابع في الزمن (أو في مساحة منتظمة في حالة المكتوب): إذ لا يمكن أن تحضر وحدتان معاً في نفس النقطة من المنطوق؛ وهذه الخاصية أساسية فهي تحكم وتوجه الصوتيات كلها والتركيب اللغوي كله. وقد استطاع البعض فعلاً إبراز وقائع تشذ عن الخطية المستقيمة **للدوال**: ادغام حرفين دالين، والدوال غير المتصلة (الخبازات الأنيقات والمكتنزات، أي مع ثلاث علامات تدل على التأنيث)، الخ. لكن الأمر هنا لا يتعلق إلا بحالات هامشية. أما عمومية العلامة اللسانية بالنسبة إلى مرجعها فتشير إلى خاصية العلامة في أن تؤدي وظيفتها بنعم أو بلا، وفي أن تكون قيمة غير متصلة؛ إذ لا يمكن أن نستعمل العلامات كقيم متصلة وكمية: فكلمة **حصان** تقصد المرجع «حمار»، سواء كان يزن ستمئة كلغ أو ألفاً ومئتين، وسواء كنت أنا موقناً مما أقول أو لا. وهنا أيضاً تحدّ بعض الوقائع من عمومية العلامات، وخاصة نبرة الحديث التي يمكن تحويرها كمياً، لكنها تظل واقعة هامشية في التواصل رغم أهميتها: إنها إخبار إضافي لا يحمل وحده شيئاً. إن **اعتباطية العلامات اللسانية**، هذه الاعتباطية التي أسالت الكثير من المداد، تظل مفهوماً مكتسباً وراسخاً. ولا يمكن لأي تعليق من محاورة **قراطيلوس** أن يقيم البداهة أبداً: فأن نقول arbre بالفرنسية أو tree بالانجليزية، أو baum بالألمانية أو dervo بالروسية... الخ. فهذا يكفي لإبراز أن الصوتيات (الفونيمات) المشكّلة للوحدة الدالة لا تربطها أية علاقة تناظر مع المدلول الذي تحمله. إن مدى تعبيرية كلمة ما ليست سوى مسألة عرضية، سواء استعملت أم لا: فكلمة Gloire (نصر) منشأة على غرار Glaire (آح).

بيد أن المفهوم الصلب الذي يتعين تنبيه الفلاسفة إليه هو بدون شك مفهوم **بنية**. فقد عرفت البنيوية بين 1960 و1970 تعميمات، بالنسبة إلى المفهوم اللساني الذي تشمله، تعميمات هشة أو متسرعة، بحيث أن نكوص هذه الموضة الإيديولوجية والمصطلحية قد تبع بشكل مفاجيء ذروة سيادتها. وبسبب الاعتقاد فيما تشيعه الصحافة الثقافية التي تحرق اليوم على عجل ما كانت قد عبدته بالأمس عبادة الخراف، فإن كثيراً من الناس يعتقدون اليوم بأن البنيوية قد ماتت وتم دفنها. وذاك خطأ كلي، على الأقل بصدد البنوية اللسانية. فمفهوم البنية مكتسب نهائي: فهو يحكم ويسود كل التحليلات. وبالفعل فانه إذا كان مفهوم البنية، وقد خُلِّص من كل تمديد

أدبي أو ميتافيزيقي، يعني فقط وجود عناصر، . أو كيانات، أو وحدات تربطها فيما بينها علاقات، فإن أي علم لساني سيقوم على استخراج الوحدات الفعلية والواقعية التي يقوم عليها أداء لغة ما لوظيفتها ـ في المستوى الصوتي أو في المستوى المعجمي ـ والعلاقات التي تقيمها فيما بينها لتضمن أداء الجملة لوظيفتها (مستوى البنيات التركيبية). ولن نلح إلحاحاً كبيراً على أن **كل** النظريات اللسانية الحالية، بما فيها نظريات شومسكي، هي من الناحية الابستمولوجية، بنيويات، حتى ولو كانت هذه البنيويات (أو النزعات البنيوية) مختلفة، فيما يخص وصف وتفسير البنيات اللسانية التي تحللها (والتي هي عملياً هي هي). وكون النظريات اللسانية نظريات تنتمي إلى البنيوية هو الذي يجعلها كلها تستعمل مفاهيم السلسلة التراصفية (Syntagmatique) (أي دراسة العلاقات القائمة بين الوحدات فيما بينها ضمن السلسلة الكلامية)، والسلسلة الاستبدالية (Paradigmatique) (أي دراسة المجموعات أو المجموعات الفرعية المكونة من الوحدات التي يمكن أن تؤدي نفس الوظيفة، أو كما يقال عادة، التي يمكن أن يحل أحدها محل الآخر في منطوق معين)، وهذه الاستبدالية هي التي تحدد، بالنسبة الى لغة معينة، فئات الوحدات الصورية والتوزيعية والوظيفية، أي الأقسام القديمة للخطاب منظوراً إليها من جديد ومصححة من خلال طرائق اكثر صرامة ودقة من طرائق النحو القديم.

تتفاوت كل النظريات اللسانية الحالية فيما يخص المكانة التي تنسبها الى مفاهيم ـ أو مصطلحات ـ **الوظيفة والحسم**، ولكنها كلها تستعملها. فكل النظريات اللسانية مثلاً تتفق على الوظيفة التمييزية للصوتيات؛ وكلها تتحدث عن وظائف، خلال وصفها للفئات أو الأصناف المتعلقة بالتركيب، لأنها كلها توافق على فكرة أن البنيات اللسانية وسيلة غايتها تحقيق التواصل اللغوي. وكلها تستعمل أيضاً المفهوم المركزي: مفهوم الحسم (pertinence) أو المميز، حتى وان لم تستخدم هذا اللفظ (تستعمل الانجليزية relevancy والألمانية Relevanz)، وذلك لحصر ما يشكل، ضمن الكلام كمعطى خام، وعلى أساس معايير صارمة ودقيقة، البنيات المجردة للغة: فمثلاً تواتر (= حدة) حرف i الذي يتغير في الفرنسية تبعاً لموقعه في الكلمة أو في المنطوق أو حسب المتكلمين (طفل أو إنسان أو إمرأة) تواتر غير حاسم (أي غير مميّز) ما دام حرف i غير متميز عن حرف é الصادر عن نفس المتكلم.

إن هذه النواة الصلبة للمكتسبات اللسانية للقرن العشرين لا تحجب عن أي لساني أنه ما يزال من المطروح دراسة مشاكل لم تجد حلاً إلى الآن.

وبذلك نلامس بدون شك جملة المشاكل المختفية خلف لفظ تعبير (Expression). كان هذا اللفظ يدل في البداية على كل ما يعدل أو بالأحرى كل ما يضاف إلى المدلول الخالص؛ الحدة، الكيفية، الإلحاح، التفخيم... الخ. وكما سنشير فإن عناصر الإرسالية هذه تحمل معلومات وأخباراً إضافية تضيف إلى الإرسالية نفسها، إما معلومات عن موقف المتكلم من محتوى هذه الإرسالية (الشك، التضايق، التهكم... الخ)، أو معلومات عن موقف المتكلم من المستمع (العدوانية المتضمنة، الحشمة... الخ). وهناك عناصر أخرى من نفس الطبيعة قد تم بالتدريج أخذها بالحسبان: حركات المتكلم وتصرفاته، ومواقفه الجسمية الكلية (المواجهة ـ التفاعل). تجمل هذه الابحاث تحت اسم عام هو «ما يتصل باللغة» أو تحت اسم مبحث الحركات أو المواقف.

وهناك ميدان صغير، ولكنه مهم جداً ومتسع جداً من حيث بعده الثقافي، هو علم الاسلوب (أو

الأسلوبيات La Stylistique) ويقصد به مجموع الوسائل الخاصة التي تخلق ما نسميه الاستعمال الأدبي أو الشعري أو الجمالي للغة، وذلك من خلال الطريقة التي تمتلكها هذه الوسائل في التعبير عن موقف المتكلم إزاء إرساليته. وفي قدرة هذه الإرسالية على إحداث بعض التأثيرات على المتلقي. ورغم الفورة الحالية فإننا بدون شك ما نزال، في هذا الميدان، في مرحلة من الفقر فيما يخص الحقائق الموضوعية.

ويمكن أن نقول نفس الشيء بالنسبة لعلم الدلالة (Sémantique) سواء تعلق الأمر بالبحث في البنيان التي تنظم مناطق واسعة من المدلولات المشتركة بين كل المتحدثين بنفس اللغة (وهوما ندعوه بالمجالات الدلالية)، أو في ميدان الأبحاث المتعلقة ببنية كل مدلول إلى وحدات صغرى نهائية. إننا لا يمكن أن ندعي بيقين بأن الوحدة «طماطم» وحدة مبنينة بالنسبة لكل الفرنسيين البالغين في وحدات مثل: نباتي + ربيعي (+ باذنجاني ؟) + فاكهة (أو + خضر)، الخ. إذ ان السيمانتيقا (علم الدلالة) هي الإنتقال الأبسط والأوّلي بين اللغة والعالم، أو حتى بين اللغة والفكر. هنا أيضاً، ورغم مرور أكثر من ألفي سنة على الفلسفة، فإن الحكمة هي اعتبار أننا لسنا سوى في مراحل التعثر الأولى؛ وربما يمكن أن نقول أيضاً أن كل كتاباتنا الكبرى عن المعنى، أو المجاز مثلاً، تظل أقرب إلى الإنشاءات الأدبية منها إلى بناءات قائمة على جملة من البديهيات القابلة للتصديق.

لكن لائحة المشاكل المطروحة لا تتوقف عند هذا الحد. فعلم الترجمة كنقل خاص للمعنى، أو للعلاقات بين اللغة والفكر ـ علم فنيّ. وعلى ضوء تجارب الخمس عشرة سنة الماضية على الشامبانزي والغوريلا أصبح من اللازم مراجعة كل معارفنا عن التواصل الحيواني مراجعة جذرية. وبنفس المناسبة فإن كل الأعمال المتعلقة «بالأطفال المتوحشين» تتطلب على هذا الأساس مراجعة جدية. هذا دون أن نتحدث عن المشاكل المتعلقة بإنطاق الصم ـ البكم، ولا عن علم علاج أمراض اللغة الذي هو غني من الناحية السريرية، ولكنه يظل لسانياً متعثراً هو أيضاً.

ونفس الشيء بالنسبة إلى معتقد عتيق لدى اللسانيين هو أن اللغة كانت قوة اجتماعية مستقلة لم يكن الناس يمتلكون القدرة على التدخل فيها: والتخطيط اللساني موجود اليوم ويدل على أن الانسان يمكنه في بعض المجتمعات اليوم أن يتحكم في تطور اللغة وأن يوجهه. فدراسة التغيرات اللغوية (اللسانيات التطورية) ـ وهو ميدان ثري بالانتاجات إلى حدود 1930-1940، ولو أنه عرف إهمالاً كبيراً لحساب ازدهار الدراسة المتآنية ـ ما يزال يتضمن مجالات واسعة يتعين استبارها، في حين ان دراسة اللهجات تواصل طريقها مزودة كل يوم بأدق الأسلحة (الأطالس) فعلم اللسانيات العصبية واللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية (وخاصة هذه الأخيرة) كل تلك علوم تتجه يوماً عن يوم نحو أن تصبح علوماً منتجة. إن ميدان استبار اللغة، رغم التقدم الهائل الذي أحرزه في النصف الأخير من هذا القرن (والذي وضع في كثير من الأحيان موضع شك وطعن قبل أن يعطي كل ما يمكن أن يعطي) يظل ميدان واسعاً.

والخلاصة التي يبدو بلا شك أنها ما تزال صالحة اليوم هي التي تفتتح التأمل السوسيري (نسبة إلى دو سوسير): «إن اللغة إذا ما نظر إليها في كل جوانبها كائن متعدد الألوان ومختلط العناصر فهي على مفرق الطرق بين عدة ميادين، الفيزيائي والفسيولوجي والنفسي، وهي تنتمي إلى المجال الفردي وإلى المجال الاجتماعي؛ ولا تقبل أن تصنف ضمن أية مقولة من الوقائع الانسانية، لأننا لا نعرف كيف نستخرج

وحدتها». لقد تعلمنا كيف نتخذ طريقاً في هذا الخليط الذي حدده دو سوسير تحديداً جيداً، هو الذي يمثل فلسفة اللغة في عصره. فكل المشاكل التي طرحها، والتي كشفنا عنها واكتشفناها بعده، مشاكل مشروعة شريطة أن ندرك جيداً ونحدد موقع كل مشكل ضمن المجموع، وأن نفهم أن هناك سلسلة تراتبية من المشاكل، وعلى الخصوص أن ميداناً جد محدود من التواصل اللساني الشامل لا يحل كل المشاكل الأخرى. إن البحث اللساني يتطلب اليوم أكثر من أي وقت مضى صحة ابستمولوجية قوية. وهنا يمكن أن نقول بدون محاباة أن اللسانيات في حاجة إلى فلسفة، وذلك بنفس الصرامة التي ذكّرنا بها بأن فلسفة اللغة في حاجة اليوم إلى تكوين لساني متين.

ترجم محمد سبيلا هذا البحث خصيصاً لمجلة «الفكر العربي»

نداء الى الباحثين والكتّاب

يسر مجلة «**الفكر العربي**» أن تعلن إلى الباحثين والكتّاب عن محاور أعدادها المقبلة التي ستتناول الموضوعات التالية:

- الفكر القومي العربي: قراءة نقدية تجديدية.
- الفكر الفلسفي العربي: ماذا يبقى من الفلسفة العربية الإسلامية، وتعثّر الصياغات الفلسفية العربية الحديثة والمعاصرة.
- الفكر التاريخي العربي والمدارس التاريخية.
- اللغة العربية: إشكالات المعاصرة.
- علم النفس والانسان العربي.
- الثقافة وبناء الشخصية العربية.
- حقوق الانسان العربي.
- السينما والمسرح في المجتمع العربي.

وإضافة إلى المحاور فإن المجلة ستفرد بعض الملفات لموضوعات محددة مثل:

- مئوية ميخائيل نعيمة.
- الترجمة والتعريب واشكالات المعاصرة.